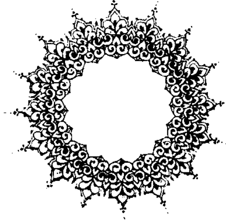


تفسير سورة الملك لشمس الدين بن كمال



تحقيق الدكتور حسن ضياء الدين عتر

(إنَّ من كان قبلكم رأوا أن هذا القرآن رسائل اليهم من ربهم ، فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالنهار)
الامام الحسن البصري

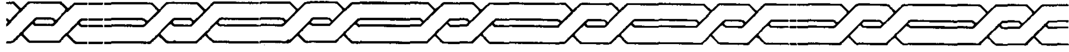
المقدمة

حض الله تعالى المسلمين على إنعام النظر في آيات كتابه المجيد وفهمها والعمل بما فيها : (كتاب أنزلناه اليك ليدَّبروا آياته وليتذكر أولو الألباب)[1] وعلى هذا يعكف أصحاب العقول السليمة . ووبخ الله جل جلاله عباده الذين يصدفون عن التفكر في آيات كتابه الحكيم : (أفلا يتدبرون القرآن ؟ ! أم على قلوب أقفالها ؟ !)[2]

استرعت هذه الدعوة اهتمام الصحابة فأقبلوا على كتاب الله يحفظونه بفهم ويرددونه بتأمل وتدبر ويعملون بما فيه . وكانوا اذا تعلموا سورة أو آيات لا ينتقلون الى غيرها حتى يعملوا بما فيها فتعلموا من رسول الله ﷺ العلم والعمل . وما العلم بدلولات القرآن ومعانيه للعمل بما فيه الا تفسير للقرآن . وعلم التفسير يصل الانسان بدستور الاسلام وكتابه الرباني المجيد ، هذا الكتاب الذي غيرَ مجرى حياة الانسانية وصحح الأوضاع والقيم في العالم . وما تزال آثاره تسري في البشرية ، فالقلة القليلة من المسلمين ما كانت بقوتها الآدمية قادرة على فتح شيء من مدن الأرض . لكنهم طرقوا أبواب البلاد وفتح الله لهم بتعاليم القرآن وعقائده قلوب العباد . وهذه أخطر المدن آثارا في حياة المسلمين وهي معقلهم وقاعدتهم لم تفتح بالسلاح والجيوش الجرارة واراقة الدماء واشاعة الخراب ... كانت (يثرب) معقل الشرك والجاهلية بعد مكة ، وبؤرة اليهودية في الجزيرة العربية ، قد فتحها الله على المسلمين بكتائب من آيات القرآن العظيم بثَّها الداعيةَ الصحابي الشاب مصعب بن عمير رضي الله عنه ، حتى صارت مدينة الرسول المنورة ، قلعة الاسلام الحصينة وثكنة الجهاد في سبيل الله ، يأوي اليها المؤمنون المخلصون وتنطلق منها جحافل الايمان المظفرة . وتجد في التاريخ الاسلامي أقاليم واسعة « كأندونيسيا » قد حظيت بالفتح القرآني لم يدخلها محارب واحد .

(١) سورة ص : ٢٩

(٢) سورة محمد : ٢٤



لربما تسمع في أيامنا هذه حديثا مطولا لداعية كبير مشرق الصيت، وقد حشر في مقالته من المعلومات الشيء المتنوع الكثير. ثم ينهي حديثه بحماسة أو بهدوء دون ان يستشهد بآية من القرآن، مستنبطاً ما فيها من الهداية والموعظة البليغة. وهذا كثير يحملك على القول مهما بلغ بك التحفظ « ان الدعوة بالقرآن شبه معطلة، ولا حول ولا قوة الا بالله »

فضل سورة الملك :

ان لسورة الملك مزية عظيمة في الثواب والفضيلة، تبعث عزيمة المؤمن على حفظها ومعرفة أسرارها والاكثار من تلاوتها. فقد روى أبو هريرة، أن رسول الله ﷺ قال : (إن سورةً في القرآن ثلاثين آيةً شفعت لصاحبها حتى غُفر له : تبارك الذي بيده الملك)[1] وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « ضرب بعض أصحاب النبي ﷺ خباءه على قبر، وهو لا يحسب أنه قبر، فاذا قبر انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها. فأتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ضربت خبائي على قبر، وأنا لا أحسب أنه قبر، فاذا انسان يقرأ سورة الملك : تبارك حتى ختمها، فقال رسول الله ﷺ : (هي المانعة، هي المنجية، تنجيه من عذاب القبر)[2] وقد عُني النبي ﷺ بهذه السورة عناية فائقة، فثابر على تلاوتها يوميا حتى ما ينام قبل تلاوتها وتلاوة سورة السجدة. عن جابر (أن رسول الله ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ « ألم تنزيل » و « تبارك الذي بيده الملك »)[3]

وينبغي للمؤمن أن يحرص على حفظ هذه السورة الكريمة، وأن يتأسى برسول الله ﷺ، فيكثر من تردادها متأملا معانيها، حتى تنكشف له أسرارها، وتسطع عليه أنوارها، وتعمه خيراتها العظيمة وبركاتها الكريمة. فقد روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال عن هذه السورة (لوددت أنها في قلب كل انسان من أمتي)[4]

هذا ومن شأن المسلم المحب أن يعلمها أيضا أهله وجميع أولاده وجيرانه كما وصى بذلك ابن عم رسول الله عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

تفسير سورة الملك لأحمد سليمان

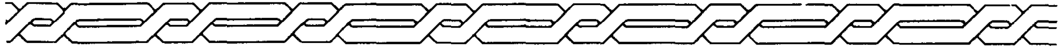
نبغ في النصف الأول من القرن العاشر الهجرى عالم جليل ضليع بالعلوم الاسلامية والعربية، هو أحمد بن سليمان بن

(١) رواه الامام أحمد وأهل السنن الأربعة، وقال الترمذي : حديث حسن :

(٢) رواه الترمذي وقال : حديث غريب من هذا الوجه

(٣) رواه الترمذي

(٤) أخرجه عبد بن حميد في مسنده والطبراني. قال ابن كثير : هذا حديث غريب وابراهيم أحد رواته ضعيف. انظر تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٣٩٥



كمال باشا . واتجهت همته الى تفسير كتاب الله تعالى ، فبذل جهوده ومواهبه كافة ، وأوشك أن يتم تفسيره لولا أن أدركه أجله ، وقد أفرد سورة الملك في رسالة صغيرة نظرا لأهميتها الخاصة ، كدأبه في جميع الموضوعات الهامة يفردها برسائل مستقلة ، ويورد فيها من التحقيقات ما لاتجده في بعض أمهات الكتب . ولعله أخذها من تفسيره وأضاف اليها وضمها الى مجموعة رسائله العلمية الهامة . يشير الى هذا قوله في تفسير « صراط » : (وقد مرّ التفصيل في سورة الفاتحة) .

أن الأهمية البالغة لهذه السورة الكريمة حفزت همتنا على تحقيق هذا المخطوط الصغير ؛ رغبة في نشر هدايتها والافادة بأنوارها ودلائلها وحقائقها ، وأملاً بالله العفو الجواد أن يمنحنا من الثواب والمغفرة فوق ما تصبوا اليه النفس وتتمناه :

منهج المؤلف في التفسير :

تأثر ابن كمال باشا بأصحاب التفسير بالرأي تأثرا كبيرا فسلك سبيلهم غير أنه لم يدع التفسير بالمأثور ، بل مال اليه ميلا طيبا ، فجمع بذلك بين مزايا المذهبين في التفسير .

وستجده يكثر من ايراد الآيات القرآنية في بيان معنى الآية ؛ أو لترجيح القول الذي اختاره في تفسيرها . وهو يلقي عليك حجة علمية قاطعة لا تقاوم ، فيقول : (والقرآن يفسر بعضه بعضا ، سيما في حكم واحد[1] وهذه هي القاعدة الاساسية الأولى للتفسير بالمأثور . أصغ الى قول ابن تيمية رحمه الله : (فان قال قائل : فما أحسنُ طرق التفسير ؟ فالجواب أن اصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن ، فما أجمل في مكان فانه قد فُسر في موضع آخر ، وما اختصر في مكان فقد بُسط في موضع آخر ، فان أعياك ذلك فعليك بالسنة ، فانها شارحة للقرآن وموضحة له)[2]

وهذا أحمد بن سليمان يفسر القرآن بالسنة، ففي تفسير قوله تعالى: (قلْ إنما العلم عند الله وانما أنا نذير مبين)[3] يورد حديث النبي ﷺ (أنا النذير العريان)[4]

وفَسرَّ القرآن بقول الصحابي رضي الله عنه ، فذكر كلام ابن عباس في بيان المراد من شهيق جهنم (إذا أُلقوا فيها سمعوا لها شهيقاً وهي تفور)[1]

وفي تفسير القرآن بقول الصحابي قال

---

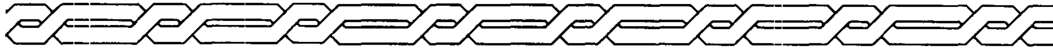
(١) في تفسيره الآية : ٥ وانظر تفسيره للآيات : ٢ و ٧ و ٨ و ١٠ و ١٢ و ١٦ و ٢٠ و ٣٠

(٢) مقدمة في أصول التفسير ص ٩٣

(٣) سورة الملك : ٢٦

(٤) أخرجه الشيخان : وسنذكره بتمامه في موضعه من التعليق .

(١) سورة الملك : ٧



ابن تيمية رحمه الله : (إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعتَ في ذلك الى أقوال الصحابة ، فانهم أدرى بذلك ، لما شاهدوه من القرآن والاحوال التي اختصوا بها ، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح ، لا سيما علماؤهم وكبراؤهم .. ومنهم الحَبْر البحر عبد الله بن عباس ابن عم رسول الله ﷺ وترجمان القرآن)[1]

ولجأ أحمد بن سليمان الى بيان معاني الألفاظ اللغوية ، كما في تفسيره « يمشى ، لجوا ، عتوّ ، نفور » وأظهر في هذا حصافة ودقة لغوية فائقة ، لاحظ تفسير قوله تعالى (.. سمعوا لها شهيقاً وهي تفور) .

واستعان بعلم البلاغة في تحليل الصور البيانية والعبارات ، لاحظ بيانه للاستعارة في قوله تعالى (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح)[2] وبيانه للتشبيه في قوله تعالى (فامشوا في مناكبها)[3] .

وقد أحسن الامام اذ لم يغرق في النحو والصرف ، بل أخذ منها قدراً يساعد على استبانة مراد الله تعالى من آياته ، وهذه مهمة المفسر . تأمل اعرابه (زلفة) وتصريفه (معين) .

كما أقلَّ من ايراد القراءات مقتصرا على ما كان وثيق الصلة بتفسير الآية . لاحظ ايراده قراءة (تدعون) بالتخفيف .

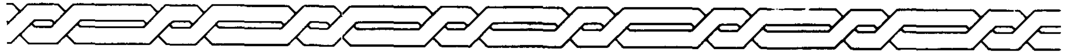
ويبدو أن له عناية بأسباب النزول ، فقد أورد أحدها في تفسير قوله تعالى : (ألا يعلمُ مَنْ خلق وهو اللطيف الخبير)[4] غير أنه تابع فيه البيضاوي والزمخشري[5] فأورده دونما سند ولا تخريج . وهذا من آفات بعض المفسرين بالرأي .

وعمد هذا العلامة الى الترجيح بين الأقوال مع التمييز الدقيق كما في بيانه : شهيق جهنم ، ثم شهيق وزفير الكفار بعد استقرارهم فيها . تأمل ذلك في تفسير قوله تعالى (اذا أُلقُوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي تفور) .

وباشر أحمد بن سليمان الدفاع عن عقيدة السلف والرد على بعض الفرق المبتدعة ، فأبطل استدلال المرجئة على عدم ادخال أحد من عصاة المؤمنين النار بقوله تعالى : (كلما أُلقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم

---

(١) مقدمة في أصول التفسير ص ٩٥ ـ ٩٦
(٢) سورة الملك : ٥
(٣) سورة الملك : ١٥
(٤) سورة الملك : ١٤
(٥) الكشاف : جـ ٤ ص ٤٦٤ وأنوار التنزيل وأسرار التأويل : جـ ٢ ص ٢٣٦



يأتكم نذير)[1] فالآية تبين ادخال الكفار الى النار أفواجا ، ولكنها لا تمنع من ادخال العصاة والفساق فيها ، فتأمل !

عرّج الامام شمس الدين أحمد بن سليمان خلال تفسيره على بيان بعض الحقائق العلمية التي تقررها بعض الآيات . كما في قوله تعالى : (أوَ لمْ يروْا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن ، ما يمسكهن الا الرحمن إنه بكل شيء بصير)[2] فأبان أن الأصل في الطيران بسط الجناح ، وأن ضم الأجنحة واهتزازها طارىء للاستعانة به على التقدم في الجو . وهذا أمر علمي قطعي يعرفه العلماء المختصون المعاصرون ، بل كل من له إلمام بطيران الطائرات يوقن أن أساس الطيران مدّ الجناح . وقد أشار القرآن الى هذه الحقيقة كما ترى منذ أربعة عشر قرنا ، وهي فوق مستوى علماء ذلك الزمان جميعا ، وهذا من الاعجاز العلمي في القرآن . فثبت أن محمداً الذي عاش في جزيرة الأمية ونشأ في البيئة الجاهلية ، ما كان ينطق عن الهوى إنْ هو إلا وحيٌ يوحَى ، فهو رسول الله حقاً وصدقاً ﷺ .

الامام أحمدُ بن سليمان بن كمال باشا

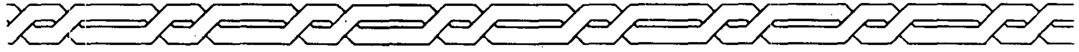
نشأته :

تطلع الى القرن العاشر الهجري تجد في العالم الاسلامي توقيراً واحتراماً بالغاً للعلوم الاسلامية ، وتبجيلاً عظيماً لعلماء الاسلام . ولا غرو في ذلك . فقد كان فيهم من النبغاء والفحول كثرة كاثرة ، وكانت المدارسة والدأب على الحفظ والمطالعة في المساجد . وغدت معاهد العلم تُشع بالنور وتخرج من عباقرة العلوم نماذج فذة استطارت سمعتهم في الآفاق وتحدث عنهم الركبان .

من عِليْة أولئكم الأعلام شمس الدين أحمد بن سليمان بن كمال باشا ، تركي الأصل ، مستعرب ، كان جده من أمراء الدولة العثمانية ، نشأ أحمد في بيئة عز ومجد ، واتجه في صغره الى العلم ، فحظي منه بنصيب ، لكنه لما شَبَّ ألحقه أهله بالجيش ، فانقطع بذلك عن طلب العلم ، ولم يهُج ذلك فيه لوعة ولا حسرة ، شأن الشباب المنعمين المترفين في كل زمان ، فالجاه والنعيم قد أذهلا كثيراً من الناشئة عن فضيلة العلم . وكان يُرتقب منه أن يغدو قائداً عسكرياً حازماً ، وأميراً مطاعاً ، لكنْ حفت به عناية الهية خاصة رفعته بالعلم والاخلاص مقاماً عليا . وقد قصَّ علينا قصته اذ ارتحل مع السلطان با يزيد خان في سفر وكان معه وزيره ابراهيم باشا بن خليل باشا ؛ وأمير ليّس في الامراء أعظم منه في ذلك الزمن ، اسمه : أحمد بك بن أورنوس .

(١) سورة الملك : ٨

(٢) سورة الملك ١٩



قال أحمد بن سليمان : (فكنتُ واقفاً على قدميَّ قدام الوزير ، وعنده هذا الأمير المذكور جالساً ، اذ جاء رجل من العلماء رثُّ الهيئة دنيء اللباس فجلس فوق الأمير المذكور ، ولم يمنعه أحد من ذلك ، فتحيرت في هذا الأمر ، وقلت لبعض رفقائي : من هذا الذي تصدر على مثل هذا الأمير ؟

قال : هو عالم مدرس ، يقال له المولى لطفي .

قلت : كم وظيفته ؟

قال : ثلاثون درهماً !

قلت : وكيف يتصدر على هذا الأمير ووظيفته هذا المقدار ؟

فقال رفيقي : العلماء معظمون لعلمهم ، فانه لو تأخر لم يرض بذلك الأمير ولا الوزير .

قال أحمد : فتفكرت في نفسي ... فنويت ان اشتغل بالعلم الشريف)[1] .

لقد تعلق هذا الشاب بالزعامة العسكرية : فالشباب عموماً يعتدون بالقوة ويطمحون الى الهيمنة ، ويدخل على كثير منهم عجب وغرور . فلما طرأت عليه هذه الحادثة لفتت انتباهه الى أمر أعظم مما تعلق به وهو طلب العلم . وأثّرت في مفاهيمه ، فتغير مجرى حياته جذريا . وقد عبَّر عن ذلك بقوله : (فلما رجعنا من السفر وصلت الى خدمة المولى المذكور « لطفي » وقد أُعطي عند ذلك دار الحديث بأدرنه)[2]

استقر أمره على أن يعود طالب علم ، موقناً أنه شرف عظيم ، مَنْ حظي به فقد حظى حقا .

وتحقق أمله العظيم فتلقى العلم من كبار علماء عصره ، منهم : المولى لطفي الرومي ، والمولى القسطلاني ، والمولى خطيب زاده ، والمولى معروف زاده .. (وصرف سائر أوقاته في تحصيل العلم ، ومذاكرته ، وإفادته واستفادته حتى فاق الأقران وصار انسان عين الأعيان)[3]

اذن ، أقبل هذا الشاب على الله بصدق واخلاص ، ودأب راغبا فيما عنده . فان العلم الاسلامي يأبى على العقلاء الا أن يجعلوه خالصا لله .

منزلته العلمية :

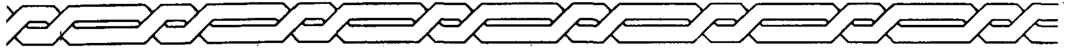
واكتمل تكوينه العلمي وصار مُدرسا وظل يترقى في التدريس متنقلا في مدارس أدرنه من مدرسة الى أهم منها ، حتى درس في أعظمها ، مدرسة السلطان بايزيد . ثم عُين

---

(١) شذرات الذهب ـ عبد الحي بن العماد الحنبلي ص ٢٣٨

(٢) شذرات الذهب ص ٢٣٨

(٣) الطبقات السنية في تراجم الحنفية ـ تقي الدين التميمي ص ٤٠٩



قاضياً بأدرنـة ، ثم أعطى قضـاء العسـكر الأناضولي ، ثم صار مفتياً في مدينة اصطنبول . ولم يزل في منصب الفتوى الى أن لحق باللطيف الخبير سبحانه وتعالى .

ودخل أحمـد بن سليمان الى القاهـرة بصحبة السلطان سليم خان حين أخذهـا من الجراكسة ، وكان يومئذ قاضياً بالعسكر المنصور بولاية الأناضـول (وأجـاز له بعض علماء الحديث بها ، وأفاد واستفاد ، وحصل بها علـو الاسناد . وشهد له علماؤها بالفضائـل الجمـة والاتقان في سائر العلوم المهمة)[1]

انتاجه العلمي :

ويبدو جلياً من سيرة هذا العالم أنه كان مديد العكوف على المطالعة والتأليف بعزيمة ماضية وهمـة عالية ، وفتـح الله عليه حتـى (ابدع في انشائه وأجاد ، وكل مؤلفاته مقبولة مرغوب فيها ، متنافَس ، في تحصيلها ، متفاخَرَ بتملك الأكثر منها ، وهي لذلك مستحقة وبـه جديرة)[2]

قال صاحـب الشقائـق النعمانية ، في بيان دأبه على التحصيل العلمي : (كان من العلماء الذين صرفوا جميع أوقاتهم الى العلم ، وكان يشتغل ليلاً ونهاراً ويكتب جميع ما سنـح بباله ، وقد فتر الليل والنهار ولم يفتر قلمـه . وصـنف رسائـل كثيرة في المباحـث المهمـة الغامضة ، ولـه من التصـانيف تفسـير لطيف حسـن قريب من التمام . اخترمتـه المنية ولـم يكمله ، وله حواش على الكشاف) .

لقد أتم انتاجه بالغـزارة والجـودة مع تنوع العلوم التي غاص في بحارها واستخـرج من دررها المعجب المدهش ، فلـم يقف عنـد التفسـير بل اشتغـل بالفقـه وشرح كتـاب (الهداية) عمدة مؤلفات الفقه الحنفي ، وله فيه متـن وشرحـه ، ودوَّن في علـم الـكلام وعلـم الحديث وأصولـه ، وعلـم البلاغـة والفـرائض وأصول الفقه والفلسفة . وكتب في كل ذلك على سبيل التحقيق والتنقيح . ومؤلفاته في كل ذلك تفيض بالجديد من النقـد والتـرجيح ولا يزال معظمها مخطوطاً غير مطبوع .

والعجب العاجب في ثقافة الرجل أنه كان مثلث اللغات ، يتقـن العـربية ، ويتقـن التركية والفارسية أيضا ، وله فيهما تآليف تثبت أنه أبدع فيهما للغاية . ويرى العلماء والنقاد في هذا خير دليل على تبحره واطلاعه على هاتين اللغتين اضافة الى اللغةالعـربية[1] .

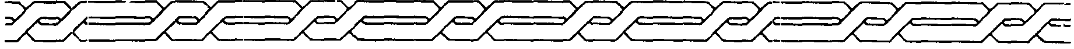
أثنى عليه مترجموه ثناء عطراً ، فقال فيه عبد الحيّ بن العماد الحنبلي : (شـمس الدين أحمد بن سليمان الحنفي الشهير بأبي كمال

---

(١) الطبقات السنية ص ٤١٠

(٢) الطبقات السنية ص ٤١٢

(٣) الطبقات السنية ص ٤١٢ نقلا عن الشقائق النعمانية



باشا ، العالم العلامة الأوحد المحقق الفهامة صاحب التفسير ...)(١)

وقال تقي الدين بن عبد القادر التميمي (الامام ، العالم ، العلامة ، الرَحلَة ، الفهامة ، أوحد أهل عصره وجمال أهل مصره ، من لم يُخْلف بعدَه مثله ، ولم تر العيون مَنْ جمع كماله وفضله . كان رحمه الله تعالى إماماً بارعاً في التفسير والفقه ، والحديث والنحو والتصريف ، والمعاني والبيان ، والكلام والمنطق والأصول ، وغير ذلك بحيث إنه تفردَّ في اتقان كل علم من هذه العلوم ، وقلما يوجد فن من الفنون الا وله فيه مصنف أو مصنفات)(٢) .

ثم قال : (وله رسائل كثيرة في فنون عديدة ، لعلها تزيد على ثلاثمائة رسالة (٣)

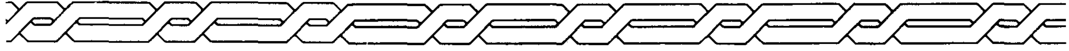
ولاتجد في عصره من يساويه في بلاده على الاطلاق ، اذ كان فريداً في الديار الرومية في كثرة التأليف وسرعة التصنيف ووسع الاطلاع والاحاطة بكثير من العلوم . ولا ترى له نظيراً في عصره الا في الديار المصرية في جلال الدين السيوطي رحمه الله .

واختلف النقاد المترجمون في الموازنة بين هذين الطودين العظيمين ، فذهب التميمي الى أن ابن كمال باشا قد حاز السبق على السيوطي فقال : (وعندي أن ابن كمال باشا أدق نظراً من السيوطي وأحسن فهما وأكثر تصرفاً ، على أنهما كانا جمال ذلك العصر وفخر ذلك الدهر ولم يخلف أحد منهما بعده مثله . رحمه الله تعالى)(٤)

ومضى أبو الحسنات عبد الحي اللكنوي يرجح كفة السيوطي من زاوية معينة فقال : (أقول : هو ان كان مساوياً للسيوطي في سعة الاطلاع في الأدب والأصول ، لكن لا يساويه في فنون الحديث ، فالسيوطي أوسع نظراً وأدق فكراً في هذه الفنون منه بل من جميع معاصريه . وأظن أنه لم يوجد مثله بعده ، وأما صاحب الترجمة فبضاعته في الحديث مزجاة ، كما لا يخفى على من طالع تصانيفهما ، فشتان ما بينهما كتفاوت السماء والأرض وما بينهما)(٥) .

قلت : اتفقوا على تفضيلهما على جميع علماء ذلك العصر . واختلفوا في ترجيح فضل أحدهما على الآخر . فاما أن يكون أحمد بن سليمان كالسيوطي تماما ؛ أو أنه يليه مباشرة فلا يتوسطُ بينهما أحد في العلم والفضل ، والحق أن

(١) شذرات الذهب ص ٢٣٨
(٢) الطبقات السنية ـ تقي الدين التميمي ص ٤٠٩
(٣) الطبقات السنية ص ٤١١
(٤) الطبقات السنية ص ٤١٢
(٥) الفوائد البهية في تراجم الحنفية ـ محمد عبد الحي اللكنوي . ص ٢٢



لكل منهما مزيته ورجحانه في جانب من العلوم . رحمهما الله وجـزاهما خـيراً عن الاسـلام والمسلمين .

توفي أحمد بن سليمان بن كمال باشـا سنة أربعين وتسعمائة . رحمه الله وأجزلَ ثوابه .

وصف نسختي المخطوط:

اعتمدت في تحقيق هذه الرسالة على نسختين صحيحتين في مكتبة الحرم المكي بمكة المكرمة حرسها الله وزادها رفعة وشرفا .

النسخة الأولى :

ضمـن المجمـوع ١٢٥ بدءا من الصفحة الأولى وهي نسخة قديمة قريبة العهد بحياة المؤلف رحمـه الله . خطهـا جميل جدا ، وجميع كلمها منقوط وبعضه مضبوط بالشـكل . كتبت الآيات فيها بالمداد الأحمر ، وهناك خط أحمر صغير عند رأس كل فقرة ، وعلى النسخة تمليكات وأختام وعليها تصحيحـات وتعليقـات بالخط نفسه ، وقد ثبت على وجه النسخـة ما يلي :

« بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الملك

أحمد بن كمال باشا الوزير »

ويبدو فيهـا الدقـة والضبـط بشـكل جلي ، ولـذلك اعتبرناهـا الأصـل في التحقيق ورمزنا اليها بالحرف أ . وما يثبت أنها نسخـة وثيقة ، كتابتها بعد سبع وثلاثين سنة من وفاة المؤلف ، اذ جاء في آخرها (تم في شهر محـرم الحرام يوم الاربعاء اليوم التاسـع عنـد غروب الشمس في سنة سبع وسبعين وتسعمائة) وأنهـا قوبلت مقابلة عالية قل أن تحظى بها كثير من المخطوطات ، فقد جرى مقابلتها على نسخـة قوبلت بنسخة المؤلف ذاتها فقد كتب في آخرها (قوبـل بالنسخـة التـي قوبلـت من نسخـة المصنف) .

النسخة الثانية :

تقع ضمن مجموع رقمه ١٥١ تبدأ من الصفحة ٨١ . والآيات فيها بمداد أحمر . خطها جيد منقـوط وعليهـا بعض الأختـام ، وعليهـا تعليقـات ، ودُون على الصفحـة الأولى من النسخة ما يلي :

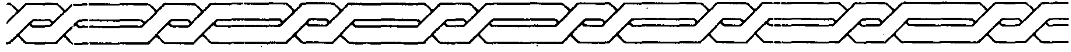
« رسالة في تفسير سورة الملك للعلامة ابن كمال باشازاده عليه الرحمة والغفران .

بسم الله الرحمن الرحيم »

وليس فيها تاريخ لكتابتها ولم يذكر اسم كاتبها ، ويبدو أنها متأخرة في الكتابة عن النسخة الأولى ، وأنها على ضبطها لم تبلغ مرتبة الأولى دقة وضبطا ورمزت لها بالحرف : ب

منهجنا في تحقيق المخطوط :

١ ـ اعتمدت على النسخة الأولى أ واتخذتها أصـلا ، لأنهـا أصـح وأقـرب عهـداً بالمؤلف . وهي مقابلة على نسخة قد قوبلت من قبل على نسخة المؤلف ذاتها .



٢ ـ ما وجدته غير سويّ في النسختين فقد صححته معتمداً على المراجع التي استقى منها المؤلف مع ملاحظة السياق . فأمكن ـ بحمد الله تعالى ـ تحقيق النص وإيراده صحيحاً سليماً من أخطاء النسخ وتصحيفه .

٣ ـ واستدركت على المؤلف باستكمال بيان معاني بعض الآيات من كتب التفسير بالمأثور والتفسير بالمعقول ، ليتم ما أراده المؤلف في منهجة من جمع بينهما . فقد ظهرت لي الحاجة في بعض المواطن الى مزيد من البيان ، فلبيت هذا المطلب باقتصار على الضروريات والمهمات .

٤ ـ أكملت نصوص الآيات التي استشهد بها المؤلف وعزوتها الى مواقعها في سورها ، ليسهل على القارىء الرجوع اليها في موضعها من المصحف ومصادر التفسير .

٥ ـ وخرّجت ما في المخطوط من الأحاديث . فان الحديث مفسر للقرآن أيضا ، كما أسلفنا .

٦ ـ وضعتُ نصوص سورة الملك في أثناء التفسير ، ليتم للقارىء ربط المعنى بالنص بسهولة . وهذه طريقة بعض أكابر المفسرين ، ومنهم العلامة ابن كثير رحمة الله عليه .

وأسأله تعالى أن يقبل جهدي خالصا لوجهه الكريم . والله ولي السداد والتوفيق . والحمد لله رب العالمين ...

تفسير سورة الملك

للامام شمس الدين أحمد ابن سليمان بن كمال

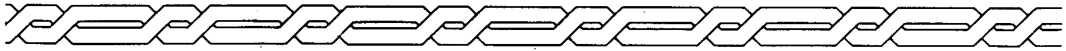
توفي سنة ٩٤٠ هـ رحمه الله تعالى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾

تبارك : تعالى عما يدرك الحواس والأوهام ، وتعاظم عما يحيط به القياس والأفهام .[1]

(١) وصيغة تفاعل (تبارك) للمبالغة ، ونظراً لاستقلالها بالدلالة على غاية الكمال وانبائها عن نهاية العظمة لم يجز استعمالها في حق غيره سبحانه ، ولا استعمال غيرها من الصيغ في حقه تبارك وتعالى « ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم ـ أبو السعود العمادي جـ ٥ ص ١٧٦ ـ ١٧٧ »



الـذي بيده : بقبضة قدرته .

الملك : يتصرف فيه كيف يشاء [١] .

والملك : عالم الأجسام ، كما أن الملكوت عالم الأرواح . ولذلك وُصفتْ ذاته باعتبار تصريفه عالـم الملك وتدبـيره اياه بحسـب مشيئتـه بالتبارك ، الذي هو غاية العظمة في إفاضة الخير والبركة والزيادة فيها ؛ وباعتبار تسخيره عالم الملكوت بمقتضى ارادته بالتسبيح [٢] ؛ الذي هو كونه منزها عن مشابهته الأجسام ؛ حيث قال : « فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء » [٣]

وأورد كلا بما يناسبه [٤] ، لأن الزيادة والبركة يناسب الأجسـام في نموهـا وازديادهـا ، والتنزه يناسب المجرّدات عن المادة .

وهو على كل شيء قدير : سواء كان ذلك الشيء من عالـم المُلـك أو من عالـم الملكوت ، ففيه دفع ما عسى أن يسبق الى الوهم من تخصيص المُلك بالذّكر اختصاص السابـق به [٥]

الذي : بدل من « الذي » قبله [٦] ، أو خبر مبتدأ محذوف .

خلقَ الموتَ والحياةَ : الخلـق : بمعنـى الايجـاد ؛ ان كان الموت ضد الحياة ، وبمعنـى التقدير ؛ انْ كان عدَمهَا . وانما قدَّم الموت عليها لأنه أدعى الى حسن العمل ، فذِكْره في المقام أهـم . وأمَّـا قولـه تعـالى : « وكنتـم أمواتـا فأحياكم » فالموت فيه على المعنى المجازي .

ليَبْلُـوَكم : ليعاملـكم معاملـةَ المختبر [٧] ، من البلوى : وهي الخبرة

أيكم أحسنُ عملا : في الدنيا بالزهد في أمورها والرغبة عنها [٨] ، وكما أنَّ الاختبار في قوله تعالى : « إنا جعلنا ما على الأرض زينةً لها لنبلوهم أيُّهم أحسنُ عملا » [٩]

---

(١) قال العلامة ابن كثير يفسر (بيده الملك) : أي هو المتصرف في جميع المخلوقات بما يشاء ، لا معقب لحكمه ، ولا يسأل عما يفعل ، لقهره وحكمته وعدله . « تفسير القرآن العظيم : جـ ٤ ص ٣٩٦ »

(٢) مقصوده : ووصفت ذات الله تعالى في القرآن أيضا بالتسبيح (سبحان) باعتبار التغاير التام بينه وبين سائر المخلوقات ، فانه تبارك وتعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) سورة الشوري : ١١

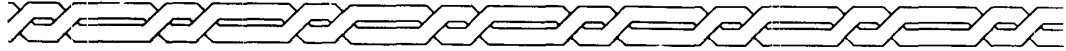
(٣) تمام الآية (واليه ترجعون) سورة يَس : ٨٣ (٤) ب : يناسب

(٥) هذا التعبير القرآني « وهو على كل شيء قدير » يفيد القارىء أن قدرته تعالى ليست قاصرة على عالم الملك ، لايراده كلمة (شيء) نكرة لافادة العموم . فانه تعالى قدير على كل شيء في الوجود ، بما في ذلك جلائل الأمور ودقائقها ـ في عالم الملك والملكوت ـ اذ الجميع تحت قدرته سواء « ارشاد العقل السليم جـ٥ ص ١٧٧ »

(٦) هو داخل معه في حكم الشهادة بتعالي عظمة الله « ارشاد العقل السليم جـ٥ ص ١٧٧ » . (٧) ب : المخبـر

(٨) ومعنى (أحسن عملا) : خير عملا ، ولم يقل أكثر عملا ، فان العبرة شرعا بحسن العمل لا بكثرته . فان صالح العمل فيه سعادة الدنيا وثواب الآخرة . ورجال الفكر والاجتماع في عصرنا صاروا يدركون ويعلنون أن تقدم الأمم مرهون بصلاح الأعمال لا بكثرتها . ويدخل في هذا ما يُعبَّر عنه حديثا بـ « مشكلة الكمِّ والنوع » .

(٩) سورة الكهف : ٧ .



غير مخصوص بالمكلفين[1] بالشرائع ، كذلك ههنــا غير مخصوص . « أيكم »[2] جملة واقعة موقع المفعول الثاني لفعل البلوى ؛ من حيث انه تضمنَ[3] معنى العلم فليس هذا من باب التعليق ،/٢ لأن الجملة المعلق عنها يجب أن تقع موقع المفعولـين معـا . لمّا قدم الموت ، الذي هو أثر صفةِ القهر على الحياة التي هي أثر صفة اللطف ؛ قدَّم[4] صفة القهر على صفـة اللطف[4] في قوله :

وهـو العـزيز : الغالــب الــذي لا يُعجزه[5] من أساء العمل .

الغفور : الستار الذي لا ييأس منه أهل الاساءة والزلل[6]

الذي[7] خلق سبع سماوات طباقا : مُطابقَة بعضُها فوق بعض ؛ من طابَقَ النعل اذا خصفها طبقا على طبـق ، أوْ جمـع طَبَـقٍ كجَمَل وجمـالٍ ، أو طَبقَة كثمرة وثمار[8] ؛ صفة انْ كان جمعا ، أو وصف بالمصدر ؛ أو على ذات طباق ، أو طوبقت طباقا ، والخطاب في :

مـا ترى في خلـق الرحمـــن : لكل أحد[10] ؛ للتعجب العام من التناسب التام في خلقهن .

من تفاوت : من اختلاف في الخلقة . وقرىء « من تفوّت » ومعنى البنائـين واحـد ، كالتعاهـد والتعهـد . وحقيقـة التفـاوت عـدم التناسب ، كأن بعض الشيء يفوت بعضـا ولا يلائمه[11] . وقوله « في خلق الرحمن » من باب وضع الكبرى موضـع النتيجـة اثباتـا للحـكم

---

(١) ب : المكلفين

(٢) « أيكم » من ب ، وفي الأصل : بهم

(٣) ب : يتضمن

(٤ ـ٤) ما بين الرقمين ساقط من ب

(٥) ب : من

(٦) أ ، ب الذلل (بالذال) وهو خطأ نسخي ظاهر .

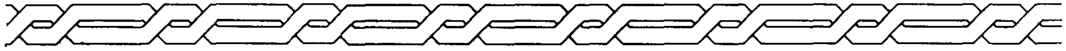
(٧) (الذي) ينتظم مع الموصولين السابقين في سلك الشهادة بتعاليه تعالى ، ومع الموصول الثاني في كونه مداراً للبلوى . « ارشاد العقل السليم جـ ٥ ص ١٧٨ »

(٨) في هامش أ التعليق الآتي : ومن قال : كرحبة ورحبات فقد سها ، لأن طبقة بسكون الباء غير مستعملة .

(٩) ب : طابقت .

(١٠) هذا من توجيه الخطاب الى مخاطب غير معين،وليس خطاباخاصابالرسول الكريم ﷺ ، بل هو في الواقع لتعميم الخطاب لكل من يصح أن يخاطب ؛ بقصد استجلاب الصورة الى ذهن السامع مهما كان حاله وعلمه . وهذا في نظرنا من أساليب القرآن في التصوير الحيّ ، وخاصة اذا أورد في خطابه أحد مشتقات مادة (رأى) . وقد شرحناه في كتابنا : « بيّنات المعجزة الخالدة : ص ٢٨٥ ـ ٢٨٨ »

(١١)وقال ابن كثير في قوله تعالى : (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ..) ليس فيه اختلاف ولا تنافر ولا نقص ولا عيب ولا خلل « تفسير القرآن العظيم جـ ٤ ص ٣٩٦ »



بعلته . وذلك أن أصل الكلام : ما ترى فيهن من تفاوت ، لأنه من خلق الله تعالى ، وما ترى خلقه من تفاوت . وفي اضافته الى الرحمن اشعار بأن ذلك التناسب أثر الرحمة لأنـه مدار نظـام العالم[١] . والجملة صفة ثانية للسبع[٢] .

فارجع البصر : متعلق بما قبلـه على معنى التسبيب . أي ان أردت أن تتحقق[٣] ما أخبرتك به فارجع البصر[٤] .

هـل ترى من فطـور : صدوع وشقـوق ، جمـع فطـر وهـو الشـق . والمراد الخَلَل[٥] .

ثم ارجع البصر : معنى التراخي في ثم هو : أن يتـوقف بعـد كلال البصر بكثـرة المراجعة حتى يجمّ[٦] بصره ، ثم يعادُ ويعاد فلا ينقلب اليه الا بالبعد عن المطلوب والـكلال ، فلا[٧] يعثر على شيء من التفاوت والفطـور . والمراد بالتثنية في :

كرتين : التكرار[٨] والتكثـير ، كما في قولهم : لبيك وسعديك . ولـذلك أجـابَ الأمـرَ بقوله : **ينقلـبْ اليك البصر خاسئـا** : بعيداً عما طلبت كأنه طرد عنه بالصغار.[٩]

وهو حسير : كليل من كثرة المراجعة وطول المعاودة .

---

(١) وفي اضافة الخلق الى الرحمن في قوله تعالى (ما ترى في خلق الرحمن ..) تعظيم لله يليق بجلاله ، وأنه تعالى خلق الكون بقدرته القاهرة رحمة وتفضلا وأغدق علينا بابداعه نعماً جليلة كريمة ، وأن تنسيقه وجعله متناسبا من رحمته تعالى بخلقه . وفي الآية دلالة على أن نظام الكون واحد فالخالق المنظم واحد لا شريك له . وهذا ينقض الوثنية الجاهلية ؛ والوثنية اليونانية القائمة على اعتقاد تعدد أنظمة الكون تعدداً يجعله عوالم منفصلة تماما ، لكل منها اله مستقل ونظام منفصل : اله البحار ، اله الجبال ... وهكذا . لقد أفادت الدراسات العلمية المعاصرة على أن وحدة نظام الكون حقيقة علمية قطعية . بينما دلت آيات قرآنية على هذا منذ أربعة عشر قرنا . وهذا من اعجاز القرآن العلمي الذي يفيد العاقل علم اليقين بأن القرآن العظيم تنزيل رب العالمين على محمد سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم .

(٢) قوله تعالى (سبع سماوات) صفته الأولى طباقا ، وله صفة ثانية هي جملة : (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت) .

(٣) أ : يتحقق

(٤) المراد : فارجع البصر حتى يتضح لك بالمعاينة انسجام جميع جوانب ملك الله تعالى . اذن ارجاع البصر تسبب في التوصل الى ادراك وحدة الكون . ولم يقل المولى جل جلاله فأبصر أو فانظر بل آثر لفظ (فارجع البصر ..) يعني : قد نظرت اليها مرارا ، فانظر اليها مرة أخرى متأملا فيها لتعاين ما أُخبرتَ به من تناسبها واستقامتها واستجماعها ما ينبغي لها .

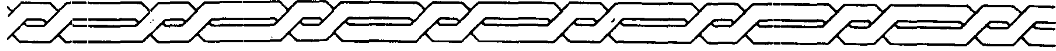
(٥) والاستفهام (هل ترى من فطور) : استفهام إنكاري ، يعني : لا تضاد ولا فطور بل كون واحد متماسك منسجم ، يزخر بآيات باهرات تدل على عظمة الخالق جلت حكمته وقدرته (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أوَ لمْ يكفِ بربك أنه على كل شيء شهيد) سورة فصلت ٥٣ وانظر أنوار التنزيل للبيضاوي جـ ٢ ص ٢٣٦ .

(٦) « يجم » يستريح فيذهب إعياؤه .

(٧) ب : ولا

(٨) ب : التكرير

(٩) قال ابن عباس : خاسئاً : ذليلا . وقال مجاهد : صاغراً (تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٣٩٦)



ولقد زينا السماء الدنيا : القربى منكم[1] ، وفي هذا التوصيف[2] دلالة على أن الزينة في الواقع لا في الرؤية ، اذ لا تمايز بين دنياها وعلياها[3] في النظر[4].

بمصابيح : ٣/ استعيرت للكواكب المضيئة بالليل ، والتنكير للتنويع ، أي بمصابيح ليست من جنس مصابيحكم[5] .

وجعلناها رجوما : جمع « رجم » بالفتح وهو مصدر ، سمي به ما يُرجم به[6] .

للشياطين : أي ضمها الى التزيين فائدة أخرى جليلة هي رجم الشياطين التي تسترق السمع بالشهب المنقضة[7] وقد عين هذا المعنى قوله تعالى : « وحفظا من كل شيطان مارد »[8] والقرآن يفسر بعضه بعضا ، سيما[9] في حكم واحد . فلا وجه لما قيل : معناه وجعلناه ظنونا لشياطين[10] الانس وهم المنجمون . وفيه دلالة على أن الكواكب التي استعير لها المصابيح في السماء الدنيا[11] لأن انقضاض الشهب لا يتصور من سائر السماوات . وقد مر في تفسير سورة الانبياء أن

---

(١) بعد لفت النظر ـ سابقا ـ الى خلو السماوات عن الخلل والقصور جاءت هذه الآية تبين أن السماوات في غاية الحسن والبهاء والجمال « ارشاد العقل السليم ـ أبو السعود جـ ٥ ص ١٧٨ »

(٢) ب : الوصف التوصيف

(٣) ب : عليها

(٤) في حاشية ب : « قال قتادة خلق الله النجوم لثلاث : زينة للسماء ، ورجوما للشياطين ، وعلامات يهتدى بها ، فمن تأول فيها غير ذلك ، فقد تكلف ما لا علم له به . كشاف » وفي استنساخ النص تصحيف ظاهر ، وقد ضبطناه من الكشاف ـ للزمخشري جـ ٤ ص ٤٦٢

(٥) انظر الكشاف : جـ ٤ ص ٤٦٢

(٦) به : ليست في ب .

(٧) « عاد الضمير في قوله ـ وجعلناها رجوما ـ على جنس المصابيح لا على عينها ، لأنه لا يرمى بالكواكب التي في السماء ، بل بشهب من دونها ، وقد تكون مستمدة منها . والله أعلم » انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ ٤ ص ٣٩٦ . وقال الزمخشري : « ومعنى كونها مراجم للشياطين : أن الشهب التي تنقض لرمي المسترقة منهم منفصلة من نار الكواكب ، لا أنهم يرجمون بالكواكب أنفسها ، لأنها قارَّة في الفلك على حالها . وما ذاك الا كقبس يؤخذ من نار ، والنار ثابته كاملة » الكشاف جـ ٤ ص ٤٦٢ ، وقال أبو السعود : « والشهب مقتبسة من الكواكب » جـ ٥ ص ١٧٨ .

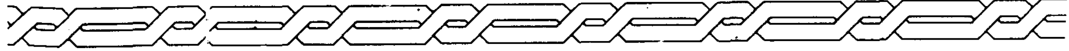
(٨) صرح القرآن بترتيب الفائدتين معا « انا زينا السماء بزينة الكواكب وحفظاً من كل شيطان مارد » الصافات : ٦ ـ ٧ وانظر سورة فصلت : ١٢

اقول وهذا الوصف للشهب من علمائنا الاقدمين في ضوء القرآن قد جاءت به الأبحاث الفلكية العلمية المعاصرة ، فتأمل !

(٩) أ ، ب : سيما ، وهو خطأ مشهور . والصواب : لا سيما . « لسان العرب ، مادة سى » .

(١٠) ب : وجعلناها ظنونا بشياطين .

(١١) مراده : أن في الآية دلالة على أن الكواكب موجودة في السماء الدنيا دون غيرها ، وهذا استدلال قوي بارع نفى به المؤلف قول بعض العلماء باحتمال وجود الكواكب في السماوات الأخرى ، وأثبت أن وجودها قاصر على السماء الدنيا .



تحت السماء فَلك هو موج مكفوف فيه الكواكب كلها . وعن كعب أن السماء الدنيا موج[1] مكفوف .

واعتدنا لهم[2] **عذاب السعير** : في الآخرة بعد الاحراق بالشهب في الدنيا . والسعير : أشد الحريق .

وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾

وللذين كفروا بربهم : من الثقلين

عذاب جهنم : وقرئ بالنصب[3] على أن « للذين » عطف على « لهم » و « عذاب جهنم » على « عذاب السعير » .

وبئس المصير : المرجع .

اذاألقوا فيها : طُرحوا في جهنم كما يُطرح الحطب في النار العظيمة .

سمعوا لها : لجهنم .

شهيقاً : صوتا منكرا كصوت الحمار . شبَّه حسيسها الفظيع بالشهيق . قال ابن عباس رضي الله عنه :[4] « الشهيق لجهنم عند القاء الكفار فيها : تشهق اليهم شهقة البغلة للشعير ، ثم تزفر زفرة لا يبقى أحد الا خاف[5] ». وأما الزفير والشهيق للكفار المذكوران[6]

في قوله تعالى : لهم فيها زفير وشهيق[7] « فذلك بعد القرار في النار ؛ وبعد ما قيل لهم : « اخسئوا فيها ولا تُكلمون[8] » فصاروا لا يتكلمون ، ولم يبق لهم الا أصوات[9] منكرة ولا حروف معها .

وهي تفور[10] : ترتفع بهم بالغليان ؛ فان الفور ارتفاع الشيء بالغليان ؛ لا الغليان

---

(١) موج : ليست في الأصل .

(٢) أعتدنا لهم : هيأنا للشياطين .

(٣) قراءة النصب (عذاب) على تقدير : وأعتدنا ... عذابَ جهنم .

(٤) ب : رحمه الله .

(٥) ذكر السيوطي نحوها في رواية مطولة ، أخرجها عبد بن حميد « الدر المنثور للسيوطي : جـ ٦ ص ٢٤٨ » .

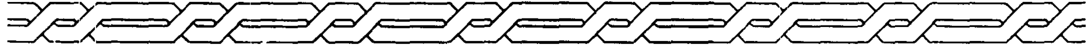
(٦) ب : المذكورين .

(٧) سورة هود : ١٠٦

(٨) سورة المؤمنون : ١٠٨

(٩) ب : الا صوت

(١٠)قال الزمخشري : « تفور : تغلي بهم غليان المرجل بما فيه »



نفسه . ومنه الفوارة لارتفاعها بالماء ارتفاع الغليان .

تكاد تميز: تتميز ، أي تنقطع وتتفرق .

من الغيظ: على الكفار ، تمثيل لشدة اشتعالها بهم[1] . ويجوز أن يراد غيظ الزبانية ، وأسند اليها للملابسه . والغيظ : الغضب الكامن . ولا يلزم أن يكون من العجز كما توهمه/٤ الجوهرى لقوله تعالى : « والكاظمين الغيظ »[2] فانه في مقام المدح ، والعاجز بمعزل عنه .

كلما ألقي فيها فوج: من الكفار المكذبين للرسل بدلالة قوله : فكذّبنا « ولا حجة فيها للمرجئة على أنه لا يدخل النار أحد الا الكفار ، لأنه بين حال الداخلين فيها زمرا ، وسكت عن حال الداخلين[3] فرادى . فيجوز أن يكون عصاة المؤمنين دخولهم فيها[4] فرادى . سألهم : أي قال لهم ، على ما صرح به في سورة الزمر[5] . وفي التعبير عنه بالسؤال غير مُوَفّ حقه[6] بالتعدية الى مفعوله الثاني بعن تنبيه[7] ، على أنه ليس بسؤال حقيقة ، بل تقريع وتوبيخ في صورة سؤال .

خزنتها: حفظة جهنم ، وهم الملائكة الموكلون بتعذيب أهلها توبيخا لهم .

ألم يأتكم نذير: رسول من جنسكم يخوفكم من هذا العذاب . وحمل النذير على ما في العقول من الأدلة المحذرة المخوفة يرده قوله تعالى : « وقال لهم خزنتُها ألمْ يأْتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا »[8]

قالوا بلى قدجاءنانذير: اعتراف منهم بأن الله تعالى أزاح عللهم[9] بارسال الرسل . وحمل النذير على معنى الجمع ؛ لمساعدة الصيغة له[10]؛ لا يتحمله المقام ، لأن معنى :

فكذبنا[11] فكذب كل واحد منا

---

(١) ب : اشتغالهم بهم . قال ابو السعود : « من شدة الغضب عليهم ، فانه صريح في أنه من آثار الغضب عليهم ، كما في قوله تعالى : سمعوا لها تغيظاً وزفيرا »

(٢) سورة آل عمران : ١٣٤

(٣) ب : بزيادة : « فيها »

(٤) «فيها» ليست في ب

(٥) سورة الزمر : ٧١

(٦) في ب : « غير معرف حقيقة »

(٧) في ب : «بعد بليس» موضع « بعن ، تنبيه » قلت غير خاف عليك تقدير الكلام « وفي التعبير عنه بالسؤال تنبيه ... ».

(٨) تمام الآية : « قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين » سورة الزمر : ٧١

(٩) ب : « عليهم » وهو تصحيف

(١٠)« له » : ليست في ب

(١١)ب : بزيادة «أي »

النذير الذي جاءنا . وكل واحد منهم لم يكذب رسلا متعددة جاؤوهم . كيف وقوم نوح ما جاءهم الا نوح عليه السلام .

وقلنا ما نزَّل الله من شيء : أي فكذَّبنا وأفرطنا في التكذيب حتى نفينا الانزال والارسال رأسا . وعلى وفق هذا ورد ما في حذف المفعول من الايماء الى أن تكذيبهم لم يكن لرسولهم خاصة . فقولهم :

ان أنتم الا في ضلال كبير : خطاب لرسولهم ولأمثاله على التغليب ، أو اقامة تكذيب الواحد مقام تكذيب الكل . أشار أولاً الى عموم تكذيبهم للرسل ، وبعدما صرحوا بما يقتضي ذلك أخرجوا ما في حيز الاشارة الى معرض العبارة . ويجوز أن يكون من كلام الخزنة على ارادة القول ، والمراد بالضلال : الهلاك ، أو الضلال في الدنيا حكاية لما كانوا عليه فيها .

وقالوا لو كنا نسمع : سماع تفهم بتفهيم الغير ، كقوله تعالى :«ولو علم الله فيهم خير لأسمعهم »[1]

أو نعقل : من عند أنفسنا/٥ بالتأمل[2] في الآيات الظاهرة الدالة على وجوده تعالى ووحدانيته ، والبينات الباهرة القائمة على صحة دعوى الرسل . وقيل : أي نسمع[3] سماع قبول وطاعة ؛ أو نعقل عقل متفكر متأمل . وكلمة « أو» بمعنى الواو ، كما في قوله تعالى « إنْ يشأ يرحمكم أو إنْ يشأ يعذبْكم »[4] اذ لاستقلال في كل من السمع والعقل في الحكم المذكور بعده . أو تنزيل لشطر[5] العلة في منزلة تمامها ؛ تفصيلاً لمواضع التفريط واعتناء بشأن كل منها في مقام التحسرّ .

[6] **ما كنا في أصحاب السعير** : في جملة من أعدت النار لهم[6] .

فاعترفوا بذنبهم : حين لا ينفعهم الاعتراف . وفي إفراد الذنب ؛ اعتباراً لأصله ؛ اشارة الى أن ما اعترفوا به أمر مشترك بينهم وهو الكفر ؛ بسبب تكذيب الرسل .

فسُحقا لأصحاب السعير : « السّحق » بتحريك الحاء وتسكينها :البُعد ،[7] وانتصابه على أنه مصدر وقع موقع الدعاء ، أي فأسحقهم سحقا .

---

(١) تمام الآية « ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون » سورة الأنفال : ٢٣

(٢) ب : بالتأويل

(٣) ب : يسمع

(٤) أ : « نعذبكم » والصواب كما أثبتناه ، والآية من سورة الاسراء : ٥٤

(٥) ب : لشرط

(٦ ـ ٦) ما بين الرقمين ساقط من ب .

(٧) فسحقا : بعداً لهم من رحمته تعالى ، وهودعاء عليهم ، وانتصابه على أنه مصدرمؤكد : أي سحقهم الله تعالى سحقا . وقرأ أبو جعفر والكسائي بضم الحاء « روح المعاني جـ ٢٩ ص ١٢ »

و« أصحاب السعير » : الشياطين ، لأن إعداده كان لهم ، لا كل مَنْ دخل فيه . وقد أُشير الى ذلك في سباق[1] كلامهم[2] ،حيث قيل : « في أصحاب السعير »[3] ولم يقل : من أصحاب السعير[4] . فلما فصل فيه بينهم وبين أصحاب السعيركان أصل الكلام : فسحقا لهم ولأصحاب السعير . وانما عدل عنه الى ما ذكر تغليبا لأصحاب السعير عليهم ، للتحقير[4] والتعليل والمبالغة في التهديد على وجه الايجاز[5] . ومن وهَمَ انَّ الايجاز نكتة أخرى للتغليب فقد وهم . وان[6] كلا مما ذكر يتيسر بدون التغليب ، الا أنه لا يكون على وجه الايجاز .

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾

ان الذين يخشون ربهم بالغيب : الخشية : خوف يُشْعَرُ به تعظيم المخشى ، مع المعرفة به ؛ ولهذا قال الله تعالى : « انما يخشى الله من عباده العلماء[7] وانما قال : « بالغيب » اذْ عند العيان لا يبقى للخشية شأن[8] .

لهم مغفرة وأجر كبير : متعلق التخصيص المستفاد من تقديم الجار والمجرور مجموع الأمرين ، فلا يلزم اختصاص مغفرة الذنوب بالذين يخشونه تعالى .

وأسروا قولكم أو اجهروا به : ظاهرة الأمر بأحِد الأمرين[9] الاسرار والاجهار . ومعناه : المبالغة في استوائهما في علم الله تعالى . ثم علله بقوله تعالى :

---

(١) ب : سياق

(٢) أصحاب السعير : هم الشياطين ، أما الكافرون فداخلون في عدادهم بطريق التغليب (ارشاد العقل السليم ـ أبو السعود : جـ ٥ ص ١٧٩) فالسعير أعدت أصلا للشياطين ، كما سبق في قوله تعالى « وجعلناها رجوماً للشياطين ، وأعتدنا لهم عذاب السعير » وقد أفاد قول الكافرين السابق أنهم ألحقوا بأصحاب السعير إلحاقاً : « وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير » .

(٣) ـ (٣) ساقط من ب .

(٤) اذا أفاد بذلك أنهم صاروا في مستوى الشياطين وجملتهم . قال الألوسي : « ولما غلّب سبحانه وتعالى أصحاب السعير وهم الشياطين على الكفار فقد جعل الكفار من قبيل الشياطين ، فكأنهم هم بأعيانهم ، وفيه من المبالغة ما لا يخفى « روح المعاني جـ ٢٩ ص ١٣ »

(٥) وهذا من اعجاز الايجاز في القرآن ، اذ يؤدي معاني كاملة بعيدة المرامي في عبارة قصيرة دون خلل .

(٦) ب : فان .

(٧) تمام الآية : « إن الله عزيز غفور » سورة فاطر : ٢٨

(٨) ب : مشان

(٩) « الأمرين » ليست في أ

انه عليم بذات الصدور : أي بضمائرها من غير أن تترجم الألسنة عنها ، فكيف لا يعلم ما تكلم به[١] ! ثم أنكر بقوله :

ألا يعلم من خلق : أي الا يحيط علما بالمُسر والمُجْهَر مَن خلقَ الأشياء كلها .

وهو اللطيف الخبير : وحاله أنه[٢] المتوصل علمه لما بطن من خلقه وما ظهر[٣] ، فهو تذييل[٤] بعد التعليل . روي أن مشركي مكة كانوا ينالون من رسول الله ﷺ فيخبره جبريل عليه السلام بما قالوا فيه ونالوا منه . فقالوا فيما بينهم : أسروا قولكم كيلا يسمع اله محمد . فنزلت[٥] .

هو الذي جعلَ لكمُ الأرض ذلولاً : لينة ليسهل لكم التصرف[٦] فيها بالحركة والسكون وغير ذلك[٧] .

فامشوا في مناكبها : شُبِّهت الأرضُ في غاية تذليلها بالبعير المذلل . والمشي في المناكب مَثَلٌ لفرط التذليل ومجاوزته الغاية . فان منكبيْ البعير وملتقاهما من الغارب أرقُّ شيء منه وأنبا[٨] عن أن يطأ به[٩] الراكب بقدمه . فاذا جعلها في الذل بحيث يُمشى في مناكبها لم يترك شيئا من التذليل[١٠] . وحقُّ المَثَل أن تكون[١١] المفردات على حالها ، فلا استعارة في لفظ المناكب . وقيل استعير المناكب للجبال . قال الزجاج : معناه سهَّل لكم السلوك في

---

(١) أقول : وفي هذا تحذير للعبد من مباشرة السيئات سراً ، تستراً عن أعين الناس ، فانه مفضوح أمام رب الناس الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء ، بل الخفيات في علمه تعالى كالظاهرات . والرأي الذي ذهب اليه المؤلف في تفسير « يخشون ربهم بالغيب » هو الراجح من أقوال المفسرين . يدل عليه السياق وحديث النبي ﷺ عن الاحسان « أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك » رواه مسلم .

(٢) أ ، ب : أن . انظر العبارة نفسها في تفسير أبي السعود جـ ٥ ص ١٨٠

(٣) أ : أظهر

(٤) ب : تذلل

(٥) أسباب النزول ـ للواحدى ـ ص ٢٤٩ عن ابن عباس رضي الله عنهما . وانظر البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي جـ ٨ ص ٣٠٠ وروح المعاني للألوسي جـ ٢٩ ص ١٣ .

(٦) السلوك فيها « ارشاد العقل السليم جـ ٥ ص ١٨٠ »

(٧) ولم يقل « جعل الأرض ذلولا لكم » وانما قدَّم « لكم » مع أن حقها التأخير عن مفعولى « جعل » للاهتمام بالمقدم وهو بنو الانسان ، والتشويق الى المؤخر ،وانبعاث النفس على ترقب وروده يؤدي الى تمكنه لديها عند ذكره فضل تمكن ، وخاصة اذا كان المؤخر من منافع المخاطبين « ارشاد العقل جـ ٥ ص ١٨١ »

(٨) ب : أنبأ . وفي اللسان : نبا : ارتفع .

(٩) ب : يطأه

(١٠) قارن مع « إرشاد العقل السليم لأبي السعود جـ ٥ ص ١٨٠ »

(١١) أ : يكون



الجبال ، فاذا أمكنكم السلوك[1] فيها فهو أبلغ التذليل . وقيل استعير لجوانبها .

وكلوا من رزقه : التمسوا من نعم الله تعالى . وتخصيص الأكل بالذكر لكونه أهم وأعم .

واليه النشور : أي اليه تعالى خاصة نشوركم ، فهو سائلكم[2] عن شكر ما أنعم عليكم[3] .

ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾

ألأمنتم من في السماء :أمره وقضاؤه[4] وألوهيته ، كقوله تعالى : « وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله[5] » والهمزة للانكار .

وقرىء بقلب الهمزة الثانية ألفا

أن يخسف بكم الأرض : كما خسفها بقارون . وهو بدل من بدل الاشتمال . والخسف أن تنهار الأرض بالشيء . وتعديته بنفسه وبكم حال ، أي مصحوبا بكم .

فاذا هي تمور : المور الاضطراب في المجيء والذهاب[6] .

أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا : كما فعل بقوم لوط والحاصب الحجارة التي يرمى بها[7] .

فستعلمون كيف نذير : أي اذا رأيتم المنذَر به علمتم كيف انذاري حين لا ينفعكم العلم به .

ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير : أي انكاري عليهم بانزال

---

(١) ـ (١) ساقط من ب

(٢) ب : مسائلكم

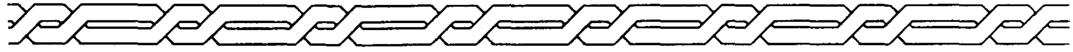
(٣) « اليه المرجع بعد البعث لا الى غيره ، فبالغوا في شكر نعمه وآلائه » ارشاد العقل السليم جـ ٥ ص ١٨٠ »

(٤) ب : قضائه

(٥) تمام الآية : « وهو الحكيم العليم » سورة الزخرف : ٨٤ وجاء استشهاد المؤلف بهذه الآية لترجيح ما ذهب اليه على الآراء الأخرى في تفسير الآية اعلاه « أنظر ارشاد العقل السليم : جـ ٥ ص ١٨٠ »

(٦) تمور : ترتج وتهتز اهتزازا شديداً . وأصل المور : التردد في الذهاب والمجيء « روح المعاني جـ ٢٩ ص ١٦ » . وفي لسان العرب مادة « مور » :ومار يمور موراً : إذا جعل يذهب ويجيء ويتردد . قال أبو منصور ومنه قوله تعالى : « يوم تمور السماء موراً وتسير الجبال سيراً » قال في الصحاح : تموج موجاً ، وقال أبو عبيد والأخفش : تكفأ .

(٧) ب : ترمي بها .قال ابن كثير« حاصباً : أي ريحاً فيها حصباء تدفعكم » وقال أبو السعود : « في الآية إضرابٌ عن التهديدِ بما ذكر سابقا وانتقال الى تهديد بوجه آخر »



العذاب . وهو تسليةٌ للرسول [١] ﷺ [١] وتهديد لقومه [٢].

أو لم يروا الى الطير : الاعتبار بالطير ناسب المقام ، اذ قد تقدم الحاصب [٣] في الكلام . وقد أهلك الله تعالى /٧ أصحاب الفيل بالطير والحاصب الذي رمتهم به . ففيه إذكار قريش بهذه القصة [٤].

فوقهم صافات : باسطات أجنحتهن في الجو عند الطيران ، فانها اذا بسطتها صففن [٥] قوادمها صفاً ، والصف : وضع الاشياء المتوالية على خط مستقيم .

ويقبضن : ويضممنها : اذا ضربن بها جنوبهن . ولما كان [٦] الحث على الاستدلال على قدرة الله تعالى بالطيران ، والأصل فيه بسط الأجنحة ، وأما القبض فطارىء ؛ للاستظهار على التحريك للبسط . ولم يقل [٧] : « وقابضات » ليدل على أن القدرة ؛ على ما هو خلاف الطبع ؛ انما هي في البسط . وأما القبض فيطرأ وقتاً بعد وقت لاحتياج البسط اليه في التحريك . فان الطيران في الهواء كالسباحة في الماء . فكان الأصل في السباحة مد الأطراف ، والقبض انما يكون تارات للاستعانة [٨] على البسط ، فكذا [٩] في الطيران [١٠].

ما يمسكهن : في الجو على خلاف الطبع

الا الرحمن : الشامل الرحمة للكل بقدرته بما دبر لهن من القوادم [١١] والخوافي [١٢] وخصهن بهيئات وأشكال يتهيأ لها بها الجري في الجو و « ما يمسكهن » مستأنف، وإنْ جُعل [١٣] حالاً من الضمير من يقبضن يجوز .

انه بكل شيء بصير : يعلم كيف

(١)-(١) ب : عليه السلام

(٢) والالتفات الى الغيبة « من قبلهم » لابراز الاعراض عنهم .

(٣) ب : الى أصب

(٤) أ : الصفة . انظر تفصيل المناسبة في البحر المحيط لابي حيان - جـ ٨ ص ٣٠٢

(٥) ب : سطنها صفقن .

(٦) أ : كانت

(٧) ب : نقل

(٨) ب : وللاستعانة

(٩) ب : فكذلك

(١٠) هذه الآية نموذج للاعجاز العلمي في القرآن ، يكشفه العلماء على مر الزمان . وقد بينت ذلك في الدراسة المتقدمة .

(١١) ب :القواديم.

(١٢) الخوافي : أربع ريشات في جناح الطائر قريبة من جسمه إذا ضم جناحه خفيت . مفردها : خافية . والقوادم : ريشات في مقدم الجناح . مفردها : قادمة .

(١٣)ب : واجعل

يخلق ويدبر ويهيىء لكل شيء ما يُعده لما خُلق له وأراد منه .

أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ
جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا
فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ
بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ
أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ
ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ
قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ
وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ
مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾

أمن هذا الذي هو جند لكم : أم من يشار[١] اليه من الجموع ، ويقال هذا الذي هو جند لكم[٢] .

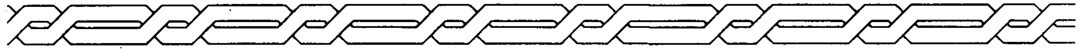
ينصركم من دون الرحمن : ان أرسل عليكم عذابه . « أم من هذا » : معادلة لهمزة الاستفهام في « أو لمْ يرو » و « من » : مبتدأ « هذا » : خبره . الموصول مع صلته صفة « هذا » ، و « ينصركم » وصف « جند » محمول على لفظه . والمعنى : أو لم ينظروا الى هذه[٣] الصنائع العجيبة ، فيعلموا قدرتنا على تعذيبهم بخسف أو حاصب[٤] . أم لكم جند ينصركم من دون الله تعالى ان أرسل عذابه[٥] . وهو نحو قوله تعالى : « أم[٦] لهم آلهة تمنعهم من دوننا[٧] » الا أنه أخرج مخرج الاستفهام عن تعيين من ينصرهم اشعاراً بأنهم اعتقدوا هذا القسم .

إن الكافرون إلا في غرور : أيْ ما هم الا في غرور .

أمّن هذا الذي يرزقكم : أمن يشار[٨] اليه ويقال[٩] : هذا الذي يرزقكم

ان أمسك رزقه : /٨ تقديراً ، وفيه إيذان بأن « هذا » اشارة الى جميع الأوثان ، لاعتقادهم أنهم يحفظون من النوائب ويرزقون ببركة آلهتهم ، فكأنهم الجندُ الناصر والرازق ؛

(١) ب : أمن يشا
(٢) والالتفات عن الغيبة الى الخطاب في قوله تعالى : (هو جند لكم) لتشديد توبيخهم على الاستنصار بغير الله (ارشاد العقل السليم جـ ٥ ص ١٨١)
(٣) أ : ينصروا الى هذا
(٤) أ : صاحب
(٥) في البيضاوي : « أن أرسل عليكم عذابه » والمراد عند ابن كثير : ليس لكم من دونه من ولي ولا واق ، ولا ناصر » قال أبو السعود » والمعنى : من هذا الحقير الذي تزعمون أنه نصير لكم من عذاب الله « ارشاد العقل السليم جـ ٥ ص ١٨١ »
(٦) (أ م) ساقطة من الأصل
(٧) سورة الأنبياء : ٤٣ (٨) ب : يشا (٩) ب : بهذا



على اعتقادهم[١] . والامساك : اللزوم[٢] المانع عن[٣] السقوط . فلما لم يتعظوا أضرب[٤] عنهم فقال :

بل لجوا : اللجاج : تقحمُ الأمر مع كثرة الصارف عنه .

في عتو : العتو : هو الخروج الى فاحش الفساد .

ونفور : النفور : النبو[٥] عن الشيء هرباً[٦] من الشعور بضرره ، أي أصروا على العناد وتمادوا في الشر[٧] ، أو عن الحق النافع ، زاعمين أنه باطل ضار .

ثم ضرب مثلا للكافر والمؤمن ، فقال :

أفمن يمشي :المشي : جنس الحركة ، المخصوصة ، فاذا اشتد فهو سعي ، فاذا ازداد فهو عدْو[٨] ، والنقلة : أعم من المشي ، لتحققها بدونه فيمن زحف ودبَّ . والحركة : أعم من النقلة ؛ لوجودها بدونها فيما يدور في مكانه .

مكبّاً : أكبّ : صار ذا كبّ ، ودخل في الكب وهو السقوط في الهوة ، ونحوه : أقشع السحاب : دخل في القشع . وهما من باب : انقضَّ وألام ، لا من باب المطاوعة كما[٩] توهم ، فان مطاوع كبَّ وأقشع[٩] ، انكب وانقشع ، ولم يجيء من باب أفعل مطاوِع .

على وجهه : عاثرا كل ساعة يخَرّ[١٠] على وجهه لوعورة الطريق ، واختلاف أجزائه في الارتفاع والانخفاض . ولذلك قابله بقوله « سوياً على صراط مستقيم » واكتفى بما في الكبِّ[١١] من الدلالة على حال المسلك إشعاراً بأن ما عليه المشرك لا يستأهل أن يسمى طريقاً . وخبر ' مَنْ ' :

أهدى : أي أرشد .

---

(١) قال ابن كثير « أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه » : أي منْ هذا الذي اذا قطع ا لله عنكم رزقه يـرزقكم بعده ؟ أي لا أحد يعطي ويمنع ويخلق ويرزق الا الله وحده لا شريك له . ١ هـ

(٢) ب : الملزوم

(٣) ب : من

(٤) أ : ضرب

(٥) ب : والنفور التبوء

(٦) ب : ضربا

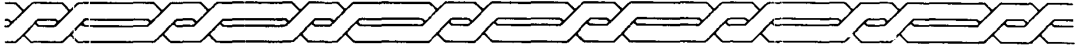
(٧) ب : الشبه

(٨) « عدو » : ساقطة من ب

(٩) ـ(٩) ساقط من ب

(١٠)ب : يجر

(١١)أ ، ب : الكتب . وهو تصحيف ظاهر .



أمن يمشي سوياً : أي قائماً سالماً من العثور .

على صراط : على طريق لا التواء فيه ولا اعوجاج .

مستقيم : لا ميلَ فيه أصلا ، فينتفي به الصعود والهبوط والعدول ، اي لا ميل[1] عن قصد السبيل . وقد مر التفصيل في تفسير سورة الفاتحة وخبر « مَنْ » محذوف لدلالة « أهدى » عليه . وقيل المُكبُّ الذي يحُشر على وجهه الى النار ، لأنه كان مُكبا على المعاصي . والسويَ : الذي يمشي على قدميه الى الجنة ، لانه كان على طريق التوحيد والاسلام .

قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع : لتسمعوا المواعظ ،

والابصار : لتنظروا صنائعه

والأفئدة : لتفكروا/٩ وتعتبروا[2]

قليلا ما تشكرون : هذه النعم ، والمعنى : تشكرون شكرا قليلا و« ما » : زائدة ، ويحتمل أن تكون[3] القلة عبارة عن العدم .

قلْ هوَ الذي ذرأكم : خلقكم .

في الأرض واليه تحشرون : للجزاء والحشر : السوق من جهات مختلفة الى مكان واحد .

ويقولون متى هذا الوعد : يعنون وعد البعث .

ان كنتم صادقين : يعنون النبي عليه الصلاة والمؤمنين[4] .

قل انما العلم : علم وقته

عند الله : لا يطَّلع عليه أحد غيره .

وانما أنا نذير مبين : مخوِّف ظاهر ، وذلك أن بعثته عليه السلام كانت من أشراط الساعة فكان ﷺ منذرا قالا وحالا ، على ما أشار اليه بقوله : « أنا النذير العُرْيان »[5] .

فلما رأوه : الضمير للوعد بمعنى الموعود .

زُلفَةً : نصبٌ على الحال ، أيْ ذا

---

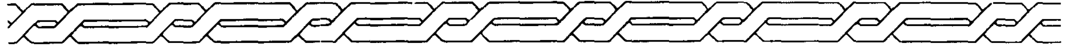
(١) اي لا ميل : ليست في ب

(٢) ب : « لتتفكروا وتعبروا » قال الامام ابن كثير :« قل هو الذي انشأكم » ابتدأ خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئا مذكوراً . « وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة » . أي العقول والادراك « قليلا ما تشكرون » : قلما تستعملون هذه القوى ، التي أنعم الله بها عليكم في طاعته وامتثال أوامره وترك زواجره)

(٣) أ ، ب : يكون

(٤) ودخل المؤمنون في الخطاب حيث كانوا مشاركين له عليه السلام في الوعد وتلاوة الآيات المتضمنة له .

(٥) ونص الحديث (ان مَثلي ومَثل ما بعثني الله به ، كمَثَل رجل أتى قومه فقال : يا قوم إني رأيتُ الجيش بعينيَّ ، واني أنا النذير العريان ، فالنجاء . فأطاعه طائفة من قومه ، فأدلجوا فانطلقوا على مهلتهم ، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم . فذلك مَثل من أطاعني واتبع ما جئت به ومَثل من عصاني وكذَّب ما جئت به من الحق) رواه البخاري ومسلم . قال ابن الاثير في النهاية « خصَّ العريان لأنه أبين للعين وأغرب واشفع عند المبصر . وذلك أن ربيئة القوم وعينهم يكون على مكان عال ، فاذا رأى العدو قد أقبل نزع ثوبه وألاح به لينذر قومه ويبقى عريانا »



زلفة : أي قرب منهم ، أو على الظرف أي مكانا ذا زلفة ، أي فلما رأوا ما وعدوا قريبا .

سيئت وجوه الذين كفروا : من باب وضع الظاهر موضع الضمير . وأصل النظم[1] أن يقال : فلما رأى الذين كفروا الموعود ساءت له[2] رؤية وجوههم ، فغيرً الى ما ترى للذم والايذان بأنَّ سبب المساءة[3] والكآبة برؤية الوعيد إنما هو الكفر ،وكذلك فمنْ يجُير الكافرين في موضع فمن يجيركم .

وقيل هذا الذي كنتم به تَدَّعون : تفتعلون[4] من الدعاء ، وقيل من الدعوى ، وقرىء : « تدعون » بالتخفيف . قيل القائلون هم الزبانية ، أي تطلبون وتستعجلون به ، أو كنتم بسببه تدّعون وتزعمون أنكم لا تبعثون .

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿٣٠﴾

قل أرأيتم ان أهلكني الله : أماتني

ومن معي : من المؤمنين

أو رحمنا فمَنْ يجُير الكافرين من عذاب أليم[5] : أي لا ينجيهم أحد من العذاب ، متنا أو بقينا[6] ، وهو جواب لقولهم « نتربص به ريب المنون » وفيه تعريض[7] بأن الرسول عليه السلام ومن معه متربصون إحدى الحسنيين ؛ فالهلاك الذي تطلبون لهم انما هو استعجال الفوز والسعادة . وأنتم على صفة ليس وراءها[8] الا الهلاك الذي لا هلاك بعده وأنتم غافلون لا تطلبون الخلاص منه .

قل هو الرحمن : أي الذي أدعوكم اليه مولى النعم كلها .

آمنا به : للعلم / ١٠ بذلك[9] .

وعليه توكلنا : للوثوق عليه . وانما أخرت[10] صلة « آمنا » وقدمت صلة « توكلنا » لوقوع « آمنا » تعريضا بالكافرين ، حيث ورد

---

(١) النظم : مكررة في ب سهواً من الناسخ

(٢) له : ليست في ب

(٣) أ : المسآة

(٤) ب : تعقلون .

(٥) وضع الاسم الظاهر « فمن يجير الكافرين » موضع المضمر « فمن يجيرهم » لتسجيل الكفر عليهم وتعليل عدم نجاتهم به ـ انظر ارشاد العقل السليم جـ ٥ ص ١٨٢

(٦) أ : متنا أو يقينا . وفي ب : مقنا أوبقينا .

(٧) ب : وقد تعرض

(٨) ب : وراؤها

(٩) أي لعلمنا بأنه تعالى مولى النعم كلها . فان كل ماسواه إما نعمة أو منعم عليه ـ انظر ارشاد العقل السليم ٠ جـ ٥ ص ١٨٢ .

(١٠)ب : « أخر » . وقوله « صلة » المراد به الجار والمجرور « به » المتعلق بآمنا و« عليه» المتعلق بتوكلنا .



عقيب ذكرهم كأنه قيل آمنا ولم نكفر[1] كما كفرتم . ثم قيل وعليه توكلنا خصوصاً لم نتكل على ما أنتم متكلون عليه من رجالكم وأموالكم .

فستعلمون مَنْ هو في ضلال مبين : منا ومنكم[2] ، وقرىء بيا الغائبة رداً على قوله فمن يجير الكافرين .

قل أرايتم أن أصبح ماؤكم : أي صار

غوراً :

غائراً ذاهباً في الأرض لا تناله[3] الدلاء ،يقال: غار الماء غوراً اذا سفل[4] في الأرض ؛ مصدر وُصف به للمبالغة ، خصّ من بين أنواع الازالة أهونها بالعبارة إحالة لغيرها على الدلالة . فكأنه يقول عجزكم[5] في هذه الصورة ثابت فكيف الحال فيا فوقها ، ولا يخفى أن اعمال الدلالة خير من اهمالها[6] . ثم إنَّ فيه إشارةً الى أنَّ فيه اشارة الى أن الماء فوق مقتضى طبعه أن يفور ، فخروجه على وجه الأرض وظهوره بالقسر لطف من الله تعالى . فالامتنان هنا بالاحسان أقوى مما في قوله تعالى : « وإنّا على ذهابٍ به لقادرون[7] » لأنه امتنان بترك الاساءة[8].

فمن يأتيكم بماءٍ معين : ظاهر تراه العيون ، أو جارٍ على وجه الأرض . فهو على الأول مفعول من العين كمبيع من البيع ، وعلى الثاني من الامعان في الجري ، فوزنه فعيل ، كأنه قيل : ممعن في الجري[9]

١ ـ هـ حسن ضياء الدين عنتر

---

(١) ب : يكفر

(٢) وستعرفون بالتالي لمن تكون العاقبة في الدنيا والآخرة ـ انظر تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٤٠٠

(٣) أ ، ب : يناله

(٤) ب : اذا أسفل

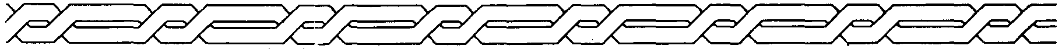
(٥) ب : عن

(٦) ب : أسمائها

(٧) سورة المؤمنون : ١٨

(٨) وفي هذه الآية اظهار لرحمة الله في عموم خلقه . « تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٤٠٠ »

(٩) قال ابن كثير « فمن يأتيكم بماء معين » أي نابع سائح جار على وجه الأرض أي لا يقدر على ذلك الا الله عز وجل ، فمن فضله وكرمه أن أنبع لكم المياه « وأجراها في سائر اقطار الارض ، بحسب ـ حكمته في تلبية ـ ما يحتاج العباد اليه من القلة والكثرة ، فلله الحمد والمنة » تفسير القرآن العظيم جـ ٤ ص ٤٠٠



ثبت المراجع

القرآن العظيم ـ كتاب الله تبارك وتعالى

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ـ محمد بن جرير الطبري ـ ط مصطفى البابى الحلبي ـ طبعة ثانية

تفسير القرآن العظيم ـ عماد الدين بن كثير ـ ط عيسى البابى الحلبي بمصر ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم ـ أبو السعود العمادي ـ ط المكتبة الحسينية المصرية .

أنوار التنزيل وأسرار التأويل ـ عبد الله بن عمر البيضاوي ـ مكتبة الجمهورية بمصر .

الكشاف عن غوامض التنزيل ـ محمود بن عمر الزمخشري ـ ط ثانية ـ المكتبة التجارية بمصر .

البحر المحيط ـ محمد بن حيان الأندلسي ـ ط السعادة بمصر روح المعاني ـ محمود الآلوسي ـ ط المنيرية الثانية بمصر .

الدر المنشور في التفسير بالمأثور ـ جلال الدين السيوطي ـ ط ايران .

أسباب النزول ـ للواحدي ـ

المفردات في غريب القرآن ـ الراغب الأصفهاني ـ ط مصطفى البابي الحلبي بمصر .

مقدمة في أصول التفسير ـ تقي الدين أحمد بن تيمية ـ ط دار القرآن ـ بيروت

جامع الأصول من أحاديث الرسول ـ أبو السعادات مبارك بن محمد بن الأثير الجزري ـ مصر .

لسان العرب ـ محمد بن منظور الأفريقي المصري ـ ط لبنان

كشف الظنون ـ حاجي خليفة .

شذرات الذهب في أخبار من ذهب عبد الحي بن العماد الحنبلي ـ ط القدسي بمصر.

الطبقات السنية في تراجم الحنفية ـ تقي الدين التميمي . ط مصر

الفوائد البهية في تراجم الحنفية ـ محمد عبد الحي اللكنوي الهندي ط الهند ـ

الاعلام ـ الزركلي .